الإصدار (٦)

جمال القلب

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net
nashra@alkafeel.net

كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)

مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

الكتاب: جمال القلب.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.
مراجعة: مركز الدراسات والمراجعة العلمية.
الاخراج الطباعي والتصميم: علاء سعيد الأسدي.
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ١٠٠٠.
شهر رمضان ١٤٤٤هـ-نيسان ٢٠٢٣م

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين وأفضل الصلوات وأتمُّ التسليم على محمّد وآله المنتجبين، لا سيّما بقية الله في الأرضين خاتم المهديين عجل الله فرجه الشريف.

وبعد، حينما شرعت في كتابة موضوعات عن القلب السليم وتوضيح الاهتمام بالقلب عن طريق الآيات والروايات التي تناولته بشيء من التفصيل والتبحر، وسعيت باحثاً عن الموضوعات المشابهة وعمَّن كتب عن القلب وجدت عدة من الأعلام والفضلاء قد نوّرت احبارهم القراطيس بما ذكر في القرآن الكريم من الآيات، وما أفاض به الأئمة الميامين (عليهم السلام أجمعين) من الروايات، وما نتج عن القراءات والاستنتاجات بعد تطور العلم وادخال الموضوعات بالبحث العلمي المعاصر الذي يتناول الموضوع من عدة جوانب.

ولّما رأيت أن الموضوع قد اشبع بحثاً وكُتب عنه بأقلام متعددة وبأساليب متنوعة، صار من اللطيف أن أجمع هذه الدرر الآحاد المتناثرة، وأنظمها في خيط واحد لتكون قلادة جميلة تضاف إلى مكتباتنا معنونة بـ(جمال القلب) ، فما تجدونه من مقالات متنوعة انما هي في بطون الكتب جمعتها هنا لتكون بإصدار واحد يسهل على القراء الاحاطة بها، وتيسيراً لهم في قراءة مادة وافية عن القلب ومعناه وحقيقته وسلامته

وأثره في حياة الانسان.

ونسأل الله تعالى أن ينفعنا به والمؤمنين كافة بالأخذ بأحسن الأقوال، إنه سميع مجيب.

(١)

حضور القلب

الشيخ محمد مهدي النراقي

حضور القلب

اعلم أن كون الأمور المذكورة روح الصلاة وحقيقتها، والمقصود الاصلي منها، امر ظاهر، إذ الغرض الأصلي من العبادات والطاعات هي تصفية النفس وتصقيلها، فكل عمل يكون أشد تأثيرا فيهما يكون أفضل.

ولا ريب في ان المقتضى لصفاء النفس وتجردها وتصقيلها عن الكدورات من الصلاة ليس الا الأمور المذكورة، وليس لنفس الحركات الظاهرة كثير مدخلية فيها، وكيف لا يكون حضور القلب والخشوع روح الصلاة ولا يتوقف كمال الصلاة عليه، مع ان المصلي في صلاته ودعائه مناج ربه؟ ولا شك في أن الكلام مع الغفلة ليس بمناجاة، وأيضا الكلام إعراب عما في الضمير، ولا يتأتى الاعراب عما في الضمير الا بحضور القلب، فأي سؤال في قوله: ﴿ **اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[1] اذا كان القلب غافلا؟ ولا شك أيضاً في أن المقصود من القراءة والاذكار الثناء والحمد والتضرع والدعاء، والمخاطب هو الله – تعالى–، فإذا كان قلب العبد محجوباً عنه بحجاب الغفلة، ولا يراه ولا يشاهده، بل كان غافلاً عن المخاطب، ويحرك لسانه بحكم العادة، فما

(١) الفاتحة، الآية: ٦.

أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب، وتجديد ذكر الله، ورسوخ عقد الايمان بها، هذا حكم القراءة والذكر.

واما الركوع والسجود، فالمقصود منهما التعظيم قطعا، والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة، وإذا خرج عن كونه تعظيما، لم يبق الا مجرد حركة الظهر والرأس، وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به، كما في افعال الحج، وإعطاء المال في الزكاة، وامساك النفس عن الشهوات في الصوم.

فكيف يجعل مجرد هذه الحركة مع خفتها وسهولتها عماد الدين، والفاصل بين الكفر والإسلام، وتقدم على سائر العبادات، ويجب القتل بسبب تركها على الخصوص؟ ولكون الحضور والخشوع والخشية عمدة ما يقصد به من الصلاة، تضافرت الآيات والاخبار على الترغيب عليها وفضيلتها ومدح أهلها، وعلى ذم الغفلة والتفكر في أمور الدنيا والوساوس الباطلة عند الاشتغال بالصلاة، وقد تظاهرت الاخبار أيضا بأن الأنبياء والأوصياء وأكابر الأولياء كانوا عند اشتغالهم في الصلاة في غاية الإقبال والخشوع والخوف، قال الله - سبحانه-: ﴿ **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ** ﴾[1]، وقال: ﴿ **وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ﴾[2]. والغفلة تضاد الذكر، فمن كان غافلا في صلاته لا يكون مقيماً للصلاة

(١) المؤمنون، الآية: ٢.

(٢) طه، الآية: ١٤.

لذكره وقال: ﴿ **ولا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ** ﴾[1]، وقال: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ** ﴾[2]، ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين، لا لأنهم سهوا عنها وتركوها، وقال: ﴿ **لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ** ﴾[3].

قيل: المراد: سكارى من كثرة الهم، وقيل: من حب الدنيا، ولو حُمِلَ على ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا، إذ بين فيه العلة، وقال: حتى تعلموا ما تقولون، وكم من مصلٍّ لم يشرب الخمرة وهو لا يعلم ما يقول في صلاته.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من صلى ركعتين، لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه**»[4].

وقال صلى الله عليه وآله: «**إذا صليت صلاة فريضة، فصلِّ لوقتها صلاة مودع يخاف ألا يعود فيها**»[5].

وقال صلى الله عليه وآله: «**لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه**»[6].

---

(١) الأعراف، الآية: ٢٠٥.
(٢) الماعون، الآية: ٤ - ٥.
(٣) النساء، الآية: ٤٣.
(٤) ثواب الأعمال: ص٤٤.
(٥) أمالي الصدوق: ص١٥٥.
(٦) المحجة البيضاء: ج١ ص٣٩١.

وقال ﷺ: «**انما فرضت الصلاة، وأُمِرَ بالحج والطواف، واشعرت المناسك، لإقامة ذكر الله، فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة، فما قيمة ذكرك؟!**»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال الله- تبارك وتعالى-: انما أقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، ويكف نفسه عن الشهوات من اجلي، ويقطع نهاره بذكري، ولا يتعاظم على خلقي، ويطعم الجائع، ويكسو العاري، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب، فذلك يشرق نوره مثل الشمس، اجعل له في الظلمات نوراً، وفي الجهالة علماً، أكلوه بعزتي، واستحفظه بملائكتي، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، فمثل ذلك عندي كمثل جنات الفردوس، لا تيبس ثمارها، ولا تتغير عن حالها**»[2].

وفي اخبار موسى: «**يا موسى، اذا ذكرتني فاذكرني وأنت تبغض اعضاءك، وكن عند ذكري خاشعاً مطمئناً، وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك، وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل، وناجني بقلب وجلٍ، ولسان صادق**»[3].

---

(١) المحجة البيضاء: ج١ ص٣٥٠-٣٥١.

(٢) الحديث مروي في(بحار الأنوار): ١٨- ١٩٦، باب آداب الصلاة عن(المحاسن)، و فيه اختلاف كثير عما ذكر في نسخ(جامع السعادات)، فصححناه على الموضع المذكور من(بحار الأنوار).

(٣) المحجة البيضاء: ج١ ص٣٧٢.

وأوحى إليه عليه السلام: «**قل لعُصَاةِ أمتك: لا تذكروني، فإني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته، وإذا ذكروني ذكرتهم باللعنة**»[1].

وفي بعض الأحاديث القدسية: «**ليس كل مصلٍّ أتقبل صلاته، انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي، ولم يتكبر على عبادي، وأطعم الفقير الجائع لوجهي**»[2].

وقال امير المؤمنين عليه السلام: «**طوبى لمن أخلص للّهِ العبادة والدعاء، ولم يشتغل قلبه بما تراه عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أعطى غيره**»[3].

وقال الصادق عليه السلام: «**لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلب إلا وجبت له الجنة، فإذا صليت، فاقبل بقلبك على الله - عز وجل-، فإنه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله - عز وجل- في صلاته ودعائه، الا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين، وأيده مع مودتهم إياه بالجنة**»[4].

وقال الباقر عليه السلام: «**ان العبد ليرفع له من صلاته نصفها وثلثها وربعها وخمسها، فما يرفع له إلا ما أقبل عليه بقلبه، وانما أمروا بالنوافل ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة**»[5].

---

(١) المحجة البيضاء: ج١ ص٣٧٣.
(٢) المحجة البيضاء: ج١ ص٣٤٩.
(٣) الكافي: ج٢، ص١٦.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٠٩.
(٥) الكافي: ج٢، ص٣٦٣.

وروي: «**أن إبراهيم الخليل كان يسمع تأوهه على حد ميل، وكان يُسمَع له في صلاته أزيز كأزيز المرجل**[1]»[2].

وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وقال بعض أزواجه:

«كان النبي صلى الله عليه وآله يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة، فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه»، وكان أمير المؤمنين عليه السلام اذا أخذ في الوضوء، يتغير وجهه من خيفة الله.[3]

وكان عليه السلام اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون، فقيل له:

ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: «**جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها، وحملها الإنسان**»[4].

وروى: «أنه وقع نصل في رجله عليه السلام، فلم يمكن أحد من إخراجه.

فقالت فاطمة عليها السلام: **اخرجوه في حال صلاته، فإنه لا يحس حينئذ بما يجري عليه**». فأُخرج وهو في صلاته، فلم يحس به أصلا»[5].

(١) الأزيز: صوت غليان القدر، و المرجل- وزان منبر-: القدر من الحجارة.
(٢) الحقائق في محاسن الأخلاق، الكاشاني: ص٢٢٢.
(٣) عدة الداعي: ص١٥١.
(٤) الحقائق في مكارم الأخلاق: ص٢٢٢.
(٥) المحجة البيضاء: ج١، ص٣٩٧.

وكانت الصديقة فاطمة عليها السلام تنهج[1] في الصلاة من خيفة الله.

وكان الحسن بن علي عليهما السلام اذا فرغ من وضوئه، تغير لونه، فقيل له في ذلك، فقال: «**حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه**»[2].

وكان الامام علي بن الحسين عليهما السلام اذا توضأ اصفر لونه، فيقال له: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: «**إني أريد الوقوف بين يدي ملك عظيم**»[3]. وقال أبوحمزة الثمالي: «رأيته يصلي» فسقط رداؤه عن منكبه، فتركه حتى فرغ من صلاته، فسألته عن ذلك، فقال:

«**ويحك! أ تدري بين يدي مَن كنتُ؟ شغلني والله ذلك عن هذا! أتعلم أنه لا يقبل من صلاة العبد الا ما أقبل عليه؟**

فقلت له: يا بن رسول الله ، هلكنا إذا. قال: **كلا! ان الله يتم ذلك بالنوافل**»[4].

وروي: «أنه عليه السلام اذا قام إلى الصلاة تغير لونه، وإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقا»[5].

وروى: «أنه عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة كأنه ساق شجرة، لا

(١) النهج- بالتحريك-: تتابع النفس و اللهاث.
(٢) المحجة البيضاء: ج١، ص٣٥١.
(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج٣، ص٢٩٠.
(٤) الخصال للصدوق: ٥١٧.
(٥) بحار الأنوار: ج٨١، ص٢٦١.

يتحرك منه إلا ما حركت الريح منه»[1].

وسئل مولانا الصادق عليه السلام عن حالة لحقته في الصلاة حتى خرَّ مغشياً عليه، فقال: «**ما زلت اكرر آيات القرآن، حتى بلغت إلى حال كأنني سمعتها مشافهة ممن أنزلها**»[2]. قيل: وكان لسان الامام عليه السلام في تلك الحال كشجرة طور حين قالت: ﴿ **إِنِّي أَنَا اللَّهُ** ﴾[3].

وسئل بعض الأكابر عن صلاته، فقال: «اذا جاءت الصلاة، اسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم اقوم إلى الصلاة، فأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيرا بتحنن، وأقرأ القرآن بترتيل، واركع ركوعا بتواضع، واسجد سجودا بتخشع، واقعد على الورك اليسرى، وأفرش ظهر قدمها، وانصب القدم اليمنى على الإبهام واتبعها الإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا!»[4].

ثم، على ما عرفت من كيفية صلاة الأنبياء والأولياء، مع مشاهدة كيفية صلاتك وصلاة الناس، تعلم: ان الناس ينقسمون في صلاتهم:

---

(١) الكافي: ج٣، ص٣٠٤.

(٢) صححنا الأحاديث الواردة في الصلاة على(بحار الأنوار). ١٨- ١٦٩- ٢٠٢، باب آداب الصلاة.

(٣) المحجة البيضاء: ج١، ص٣٩٢.

(٤) المحجة البيضاء: ج١، ص٣٩٣.

الى غافل يتم صلاته ولا يحضر قلبه في لحظة، وإلى من يغفل في بعض صلاته ويحضر قلبه في بعض منها، وهذا تختلف حاله بحسب قلة كل من الحضور والغفلة وكثرتها، وزيادة أحدهما على الآخر، فله مراتب غير متناهية.

وإلى من يتم صلاته ولا يغيب قلبه لحظة، بل يكون حاضر القلب في جميع صلاته، وربما كان مستوعب الهم بها، بحيث لا يحس بما يجري بين يديه، كما لم يحس مولانا أمير المؤمنين عليه السلام باخراج النصل من رجله الشريفة.

وبعضهم حضر الجماعة مدة، ولم يعرف قط من على يمينه ويساره. وكان وجيب الخليل يسمع على ميلين، وكان جماعة تصفرُّ وجوههم وترتعد فرائصهم عند الصلاة، وكل ذلك غير مستبعد، فإن اضعافه مشاهدة في همّ الدنيا وخوف ملوك الدنيا، مع ضعفهم وعجزهم، وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم، حتى يدخل الرجل على ملك أو وزير، ويحدثه بمهم ويخرج، ولو سئل عمن كان على حواليه، وعن ثوب الملك، لكان غير قادر على الاخبار عنه، لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حوله: ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا** ﴾[1] فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه، فان موضع نظر الله القلوب، دون ظاهر الحركات، ولذا قال بعض الصحابة:

(١) الأنعام، الآية: ١٣٢. الأحقاف، الآية: ١٩.

«يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة، من الطمأنينة والهدوء، ومن وجود النعم واللذة والبهجة بها»[1]، فالملحوظ حال القلب لا حال الشخص.

ولذا قيل: «من صفات القلوب تصاغ الصور في دار الآخرة، ولا ينجو: ﴿ **إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾[2].[3]

[جامع السعادات]

(١) المحجة البيضاء: ج١، ص٤١٣.
(٢) الشعراء، الآية: ٨٩.
(٣) جامع السعادات: ج٣، ص٢٦٥.

(٢)

انتساب الادراك والتعقّل إلى القلب

الشيخ محمّد جواد البلاغيّ

انتساب الادراك والتعقّل إلى القلب

إنّ القرآن الكريم كثيراً ما ينسب التعقّل والإدراك والاهتداء ونحو ذلك إلى القلب، والمتجدّدون ينسبون الإدراك وآثاره إلى الدماغ ويعتمدون في حدسهم في ذلك على أنهم رأوا تلافيف الدماغ أي عقده في الإنسان أكثر منها في سائر الحيوانات، وإن الأعصاب الجمجمية المتصلة بظاهر الدماغ والمنتشرة أليافها في باطنه مرتبطة بأعصاب آلات الحس كالأذن والعين وغيرهما: ولكن مباحث التشريح تقف دون حدسهم هذا، فإنّ المجموع العصبي والنخاع الممتد إلى الفقرة القطنية الأولى التي هي تحت الفقرة الثانية عشرة من الظهر هذه كلها كمخ الدماغ في كونها مكوَّنة من الجوهر السنجابي والجوهر الأبيض فلا ميزة لتكوين الدماغ لكي يحدس امتيازه عنها بكونه كرسي الإدراك والتعقل دونها، وإن الأعصاب كما ترتبط بآلات الحس ترتبط أيضاً بالقلب والكبد والمعدة، بل حتّى الأسنان وأعضاء البدن إلى أنامل اليدين والرجلين.

وأمّا ما يتراءى من أن صغر الدماغ يقارن ضعف الإدراك والتعقّل إلى أن يصل الحال إلى البله فلا يدلُّ على مدّعاهم، بل يجوز أن يكون خروجه عن المقدار الطبيعي للإنسان ككثير من العوارض البدنية موجباً لضعف الجزء الآخر العاقل في أداء وظيفته.

وأمّا التفاوت بين أدمغة الرجال وبين أدمغة النساء فهو جارٍ في قلوب الصنفين أيضاً، هذا مع أنّ الدماغ يزيد نموه في زمان قلة القوة العاقلة إلى السنة السابعة، ثمّ ينمو بطيئاً إلى الرابعة عشرة ويتقهقر نموه إلى العشرين ومنها إلى الثلاثين ويقف عند الأربعين، ثمّ ينقص وزنه في كل عشر سنين نحو أوقية مع أنّ الإنسان من العشرين فما زاد يزداد في قوة التعقل ويترقى في كونه أقوى وأحسن تعقلاً وإدراكاً، والقلب لا يزال يأخذ بالنمو والزيادة إلى الأدوار الأخيرة من الحياة ولا سيما في الذكور.

وهذا أنسب بأزمنة حسن التعقّل وجودة الإدراك. مضافاً إلى أنّ القلب هو مبدئ الحركة الحيوية المديرة للدورة الدموية وأسباب الحياة والنمو وتوزيع القوى على جميع أجزاء البدن فهو أنسب من غيره بأن تستخدمه الروح الحيوانية في أعمالها العقلية، وأيضاً أنّ بناء القلب مؤلّف من حلقات ليفية وألياف عضلية وكلّها على نوع مدهش من التغمم والتصالب والتشبك، بحيث يقال إنّ البناء العضلي للقلب لم يعرف كما ينبغي إلى الآن، وإنّ بناء القلب وأليافه العضلية أكثر وأكثر تضمماً وتصالباً وتشبكاً من البناء الذي امتازت به عضلات الحياة الحيوانية الحساسة للإرادة التي هي من أعمال النفس والممتثلة في أعمالها لأمرها، وهذا كلُّه يشير إلى أنّ لعضلية القلب وميزة بنائه عملاً نفسياً كبيراً فائقاً يفوق ما ذكر لعضلات الحياة الحيوانية، وأنسب ما يكون بذلك هو الإدراك والتعقل، نعم يمكن أن يكون الدماغ محفظة لصور

المدركات التي يستودعها القلب إياه.

وخلاصة الحجة في ذلك هو أنّ وجوه الإعجاز في القرآن الكريم حجة على أنه منزل من الله خالق القلب والدماغ بعلمه وحكمته، وقد أخبر بأنّ محلّ الإدراك والتعقّل وآثاره هو القلب.

[آلاء الرحمن في تفسير القرآن]

(٣)

معنى القلب

العلّامة

السيّد محمّد حسين الطباطبائي

معنى القلب

إنّ المراد بالقلب هو الإنسان بمعنى النفس والروح، فإن التعقل والتفكر والحب والبغض والخوف وأمثال ذلك وإن أمكن أن ينسبه أحد إلى القلب باعتقاد أنه العضو المدرك في البدن على ما ربما يعتقده العامة كما ينسب السمع إلى الأذن والإبصار إلى العين والذوق إلى اللسان، لكن الكسب والاكتساب مما لا ينسب إلا إلى الإنسان البتة.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾[2].

والظاهر: أن الإنسان لما شاهد نفسه وسائر أصناف الحيوان وتأمل فيها ورأى أن الشعور والإدراك ربما بطل أو غاب عن الحيوان بإغماء أو صرع أو نحوهما، والحياة المدلول عليها بحركة القلب ونبضاته باقية بخلاف القلب قطع على أن مبدأ الحياة هو القلب، أي إن الروح التي يعتقدها في الحيوان أول تعلقها بالقلب وإن سرت منه إلى جميع أعضاء الحياة، وأن الآثار والخواص الروحية كالإحساسات الوجدانية مثل الشعور والإرادة والحب والبغض والرجاء والخوف وأمثال ذلك كلها

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٣.
(٢) سورة ق: آية ٣٣.

للقلب بعناية أنه أول متعلق للروح، وهذا لا ينافي كون كل عضو من الأعضاء مبدأ لفعله الذي يختص به كالدماغ للفكر والعين للإبصار والسمع للوعي والرئة للتنفس ونحو ذلك، فإنها جميعاً بمنزلة الآلات التي يفعل بها الأفعال المحتاجة إلى توسيط الآلة.

وربما يؤيد هذا النظر: ما وجدته التجارب العلمية أن الطيور لا تموت بفقد الدماغ إلا أنها تفقد الإدراك ولا تشعر بشيء وتبقى على تلك الحال حتى تموت بفقد المواد الغذائية وتوقف القلب عن ضرباته.

وربما أيده أيضاً: أن الأبحاث العلمية الطبيعية لم توفق حتى اليوم لتشخيص المصدر الذي يصدر عنه الأحكام البدنية أعني عرش الأوامر التي يمتثلها الأعضاء الفعالة في البدن الإنساني، إذ لا ريب في أنها في عين التشتّت والتفرّق من حيث أنفسها وأفعالها مجتمعة تحت لواء واحد منقادة لأمير واحد وحدة حقيقية.

ولا ينبغي أن يتوهم أنّ ذلك كان ناشئاً عن الغفلة عن أمر الدماغ وما يخصّه من الفعل الإدراكي، فإن الإنسان قد تنبه لما عليه الرأس من الأهمية منذ أقدم الأزمنة، والشاهد عليه ما نرى في جميع الأمم والملل على اختلاف ألسنتهم من تسمية مبدأ الحكم والأمر بالرأس، واشتقاق اللغات المختلفة منه، كالرأس والرئيس والرئاسة، ورأس الخيط، ورأس المدة، ورأس المسافة، ورأس الكلام، ورأس الجبل، والرأس من الدواب والأنعام، ورئاس السيف.

فهذا – على ما يظهر – هو السبب في إسنادهم الإدراك والشعور وما لا يخلو عن شوب إدراك مثل الحب والبغض والرجاء والخوف والقصد والحسد والعفة والشجاعة والجرأة ونحو ذلك إلى القلب، ومرادهم به الروح المتعلقة بالبدن أو السارية فيه بواسطته، فينسبونها إليه كما ينسبونها إلى الروح وكما ينسبونها إلى أنفسهم، يقال: أحببته وأحبته روحي وأحبته نفسي وأحبه قلبي ثم استقر التجوز في الاستعمال فأطلق القلب وأريد به النفس مجازاً كما ربما تعدوا عنه إلى الصدر فجعلوه لاشتماله على القلب مكاناً لأنحاء الإدراك والأفعال والصفات الروحية.

وفي القرآن شيء كثير من هذا الباب، قال تعالى: ﴿ **يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ** ﴾[2][الحجر: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ **وبلغت القلوب الحناجر** ﴾[3]، وهو كناية عن ضيق الصدر، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾[4] ، وليس من البعيد أن تكون هذه الإطلاقات في كتابه تعالى إشارة إلى تحقيق هذا النظر وإن لم يتضح كل الاتضاح بعد.

وقد رجّح الشيخ أبو علي بن سينا كون الإدراك للقلب بمعنى أن

(١) سورة الأنعام: آية١٢٥.
(٢) سورة الحجر: آية ٩٧.
(٣) سورة الأحزاب: آية ١٠.
(٤) سورة آل عمران: آية ١١٩.

دخالة الدماغ فيه دخالة الآلة فللقلب الإدراك وللدماغ الوساطة.

[تفسير الميزان: ج٢، ص١٩١-١٩٢]

(٤)

الختم على القلوب

السيد عبد الأعلى السبزواري

الختم على القلوب

قوله تعالى: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ** ﴾[1].

الختم والطبع بمعنى واحد وهو تغطية الشيء والاستيثاق منه لئلا يدخله غيره، والختم على القلب كناية عن عدم انتفاعه بالمعارف الربوبية والحقائق الإلهية وما يترتب عليها في عالم الدنيا والآخرة ، فالختم والطبع وصيرورة القلب في الأكنّة كلها بمعنى واحد ، وهو ما ذكره عزّ وجل في قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها** ﴾[2] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ** ﴾[3].

والمراد منه أنّ من تمكن منه الكفر واستحوذ على قلبه فلا يبقى فيه استعداد للإيمان والهداية وعلم الله تعالى انه لا يؤمن باختياره وذلك بسبب ممارسته المعاصي ومزاولته ارتكاب المحذورات، فتأثر طبعه ونفسه بها وصارت كالطبيعة الثانية له فلا يرجى منه خير وهذا هو

(١) سورة البقرة: الآية٧.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٢٥.
(٣) سورة المطففين: الآية ١٤.

المراد من الطبع والختم فيكون ذلك أمرا طبيعيا فهو سنة الله في خلقه ولذا عبر عنه بالماضي للدلالة على أنه أمر مفروغ منه وسنة قائمة في من كان كذلك.

وهذه الآية المباركة لا تدل على سلب الاختيار عنهم وانهم مجبورون على الكفر، بل الختم أو الطبع على القلب حاصل من عملهم وإصرارهم على الكفر، ويدل على ذلك آيات كثيرة منها الآية المتقدمة الدالة على أن الرين كان بسبب كسبهم المعاصي حتّى غطّت قلوبهم تلك المعاصي، وكذا قوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾[1] فإنه يدل على أن الختم حصل بسبب اتخاذه إلهه هواه بحيث أعمى بصره وبصيرته فلا يفيد معه شيء.

وإنما أسند الختم إلى نفسه تعالى للدلالة على ما ذكرناه، ولأنه من نسبة المقدور والمقضي إلى القدر والقضاء لا نسبة المعلول إلى علته، أو نسبة المرضي إلى الرضا، فإن اللهّ تعالى لا يرضى لعباده الكفر والجهالة والضلالة، بل هو يقضي ذلك على الخلق بحسب اختيارهم وإرادتهم، فيكون المقام نظير قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾[2].

والحاصل: إن الأمور التكوينية الجارية على مجاريها الطبيعية لها

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٣.

إضافتان إضافة إلى فاعلها المباشري فتنسب إليه أولاً وبالذات، وإضافة إلى خالقها بواسطة خلقه للفاعل المباشري فتنسب إليه تعالى ولا يستلزم ذلك الفساد نقصاً فيه تبارك وتعالى.

ثم إنه قد ذكر في هذه الآية الختم على القلب مقدماً على الختم على السمع ، وفي سورة الجاثية بالعكس - كما تقدم - حيث قال تعالى : ﴿ **وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً** ﴾ [1]، ولا فرق بينهما من هذه الجهة؛ لأن المدارك الظاهرية طريق إلى حصول العلم بالمقصود وفهم المعارف الإلهية، ولذا ذكر الفلاسفة: «من فقد حساً فقد فقد علماً» فمن ختم الله على قلبه فقد فقد الفهم والانتفاع من المعارف الإلهية وكان كذلك بالنسبة إلى سمعه إذ لا أثر لسماع لا يدخل في القلب وكذا لو ختم على سمعه فقد أعرض عن فهم الحق فلا يسمع إلّا صوتا وحينئذ يصير السماع لغوا كما هو المشاهد في بعض الناس فهما متلازمان في الجملة سواء عبر بالأصل أم بالعكس .

[مواهب الرحمن في تفسير القرآن]

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

(٥)

صلاح القلب وفساده

العلامة المشكيني

صلاح القلب وفساده

إنّ المقصد الأعلى والغرض الأسمى في هذا العلم السعي في إصلاح القلب وإكماله، وتطهيره وتزكيته عن ذمائم الصفات، وتزيينه وتحليته بفضائل السجايا وفواضل الملكات، ليستعد على الاستفاضة من إنارة الألطاف الرحمانية وإضافة المعارف الالهية من حضرة ذي الجلال.

فبالقلب شرف الإنسان وبه فضيلته على كثير من الخلق، وبه ينال معرفة ربه التي هي في الدنيا شرفه وجماله، وفي الآخرة مقامه وكماله، فالقلب هو العالم بالله، والعامل لله، والساعي إلى الله، والمتقرب إلى جوار الله، والجوارح أتباع وخدم يستعملها استعمال الملك للعبيد والصانع للآلة.

والقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من الآفات، والمحجوب عن الله تعالى إذا استغرق في الشهوات وهو الذي يفلح الإنسان إذا زكاه ويخيب ويشقى إذا دساه وهو المطيع لله على الحقيقة والمشرق على الجوارح أنواره وهو العاصي في الواقع والظاهر على الأعضاء آثاره وباستنارته وظلمته تظهر محاسن الظن ومساويه، إذ كل إناء يترشح بما فيه.

وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وإذا جهله جهل نفسه، واذا جهل نفسه فقد جهل ربه.

وهو الذي جهله أكثر الناس وغفلوا عن عرفانه، وحيل بينهم وبينه بمعاصيهم والحائل هو الله، فإنه يحول بين المرء وقلبه، وينسى الإنسان نفسه ويضله ولا يهديه، ولا يوفقه لمشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته، فمعرفة القلب وأحواله وأوصافه أصل الأخلاق وأساس طريق الكمال.

والقلب لطيفة ربانية روحانية لها تعلق بالبدن شبه تعلق الأعراض بالأجسام، أو تعلق المستعمل بالآلة، أو المكين بالمكان.

والروح أيضاً عبارة عن هذه اللطيفة الربانية العالمة المدركة، وهو أمر عجيب رباني تعجز العقول عن إدراك كنهه.

والنفس أيضاً هي اللطيفة المذكورة، وهي الإنسان في الحقيقة، وتتصف بأوصاف مختلفة بحسب أحوالها، فإذا سكنت تحت أمر الله وزال عنها الاضطراب لثقتها بالله ولم تتزلزل ولم تضطرب ولم تنحرف عن سبيل الله وطريق الحق عند معارضة الشهوات سميت بـ«النفس المطمئنة»، وإذا لم يتم سكونها ولكن كانت مدافعة عن نفسها معارضة مع ما تقتضيه شهواتها سميت بـ«النفس اللوامة»، وإن أذعنت وأطاعت للشهوات ودواعي الهوى والشياطين سميت بـ«النفس الأمارة بالسوء».

ثم إن طريق تسلط الشيطان على القلب: الحواس الخمس الظاهرة

والقوى الباطنة: كالخيال والشهوة والغضب، فالقلب يتأثر دائماً من هذه الجهات، وأخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر، والخواطر هي المحركات للإرادات، فإن سند الأفعال الخواطر، والخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم والنية، والنية هي الإرادة التي تحرك العضلات والأعضاء.

والخواطر المحركة قسمان: قسم يدعو إلى الخير، وهو ما ينفع الإنسان في العاقبة، وقسم يدعو إلى الشر وهو ما يضره في العاقبة، والخاطر المحمود إلهام، والمذموم وسوسة، وسبب الخاطر الداعي إلى الخير في الغالب هو الملك، وإلى الشر هو الشيطان.

والملك خلق من خلق الله، شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف، والشيطان خلق على ضد ذلك، شأنه الوعد بالشر والأمر بالفحشاء، والتخويف بالفقر عند الهم بالخير، ولعل المقام من مصاديق قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[1]، فإن الموجودات متقابلة مزدوجة بمعان مختلفة، وقد ورد أن للقلب لمتين: لمة من الملك ولمة من الشيطان، واللمة: الخطوة والدنو والمساس، وورد أيضاً: إن قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن[2]، أي: بين خلقين مقهورين بإرادة الله التكوينية كالإصبع من صاحبها وهما: الملك والشيطان ومعنى كونه بينهما أن الله يخلي بينه وبين

(١) سورة الذاريات: آية ٤٩.

(٢) المحجة البيضاء: ج٥، ص ٨٥ ـ بحار الانوار: ج ٧٠، ص ٣٩ .

أي منهما أراد حسب اقتضاء عمل الإنسان ورغبته ودعائه.

ثم إنّ القلب بأصل الفطرة صالح مستعد لقبول دعوات الملك والشيطان ويترجّح أحدهما على الآخر باتباع الهوى والشهوات أو الإعراض عنها والميل إلى الطاعات، فإن اتبع الإنسان مقتضى الأول تسلَّط عليه الشيطان وصار القلب عشاً له، وصار صاحبه ممن باض الشيطان وفرح في صدره ودب ودرج في حجره، وإن جاهد في مخالفة الشهوات كان قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم وعاد صاحبه ممن سبقت له من الله الحسنى، وقد قال تعالى: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ** ﴾[1].

[دروس في علم الأخلاق]

(١) سورة المؤمنون: آية ٩٧- ٩٨.

(٦)

ما هو القلب؟

السيد محمد باقر السيستاني

ما هو القلب؟

الظاهر أن المراد بالقلب التعبير عن مركز الإدراك والشعور، وهو ما يثير سؤالاً بالنظر إلى أن القلب يعني لغة وعرفاً الجزء المعروف الواقع في الصدر كما صرّح به في بعض الآيات الكريمة كما في قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ... فِي الصُّدُورِ** ﴾[1]، ونحوها آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿ **إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ الله** ﴾[2].

﴿ **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾[3]، ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ** ﴾[4]، ﴿ **وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ** ﴾[5]، ﴿ **وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ** ﴾[6]، ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَه يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ**

(١) سورة الحج: الآية ٤٦.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٩.
(٣) سورة آل عمران: الآيات ١١٨-١١٩.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٤٣.
(٥) سورة التوبة: الآية ١٤.
(٦) سورة القصص: الآية ٦٩.

﴿ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[1]

والجواب عن هذا السؤال من وجهين:

الوجه الأول: إن مثل هذه التعابير كانت ولا تزال جارية في العرف واللغة كما يقول لك القائل: (إن لك مكاناً في قلبي)، و(اغتمّ قلبي) ونحو ذلك، والتعابير القرآنية المشار إليها لا تعدو أن تكون جرياً على الاستعمالات العرفية لإيصال المعنى، وليس في مثل ذلك بالضرورة تصويب لما يبتني عليه هذا الانطباع العرفي، كما هو الحال في التعبير بكون الولد صلبياً في قوله تعالى: ﴿ **وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ** ﴾[2].

الوجه الثاني: إن من الجائز أن تكون هذه التعابير اللغوية والعرفية بضرب من التوسع الأدبي وليس معبراً عن انطباع عرفي مستقر على أن القلب الصنوبري هو مركز الإدراك، وذلك بقرينة اشتمال التعابير اللغوية والعرفية على ما يدل على أن مركز الإدراك والمشاعر هو الرأس، قال ابن السكيت في كلام له: «فيقال للرجل كواه من الصدأ فبرأ، إذا ذهب ما في رأسه من الجنون والفخر»[3]، وفي لسان العرب (ج:١٥ ص:١٨٧- مادة: قضى): «وقَضَى عَبْرَتَه أَي أَخرج كل ما في رأْسِه»، وفي الأثر: «**ما من عبد إلا وفي رأسه حَكَمَة**- أي لجام- **وملَك**

(١) سورة الأنعام: الآية١٢٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٣) الكنز اللغوي: ص١٢١.

يمسكها، فإذا تكبر قال له: اتَّضِع...»[1]، وعن الذهبي في (سير أعلام النبلاء ج:١٤ ص:٩٠) عن ابن عدي عن ابن عقدة قال: «كنا نحضر مع عبيد، فإذا أخذ الكتاب بيده طار ما في رأسه، فنكلمه فلا يرد، قال: إذا أخذت الكتاب بيدي يطير عني ما في رأسي، يمر بي حديث الصحابي وأنا أحتاج أن أفكر...»، وقال ابن سيده في (المخصص ج:٣ ق:٢ ص:٩٩): «ويقال للمنتشي أيضاً مخشم، وقد تخشّم، والاسمال خشمة، قال أبو زيد: وذاك أن ريح الشراب تثور في الخيشوم ثم تخالط الدماغ فتذهِب العقل»، وفي الأثر: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن رجل ضرب رجلاً بعمود فسطاط على رأسه ضربة واحدة، فأجافه حتى وصلت الضربة إلى الدماغ فذهب عقله»[2]، وفي التعبير المعروف: «ركب فلان رأسه وفعل كذا» إذا فعله من دون تروٍّ، فكأنه لم يفعل برأسه ما ينبغي به من التفكر والتروي بل جعله على حدِّ قدمه في السير عليه.

ويبدو أن السرَّ في إسناد الشعور إلى القلب هو ما يجده الإنسان من تأثير الأحاسيس على نبضات القلب والشعور بالضيق في منطقة الصدر، حتى كأن الهموم والأذى النفسي تحلُّ في القلب، فلاحظ.

القواعد الفطرية العامة

(١) الكافي ج:٢ ص٣١٢.

(٢) الكافي ج:٧ ص٣٢٥.

(٧)

مرض جفاف القلب

العلَّامة السيّد منير الخباز

مرض جفاف القلب

نتعرّض إلى هذا المرض النفسي الروحي من خلال ثلاث زوايا:

الزاوية الأولى: أعراض المرض.

كثير منّا مبتلى بمرض جفاف القلب، فالقلب الذي يقسو، ولا يـرقُّ، ولا ينفعل، مبتلى بمرض القسوة والجفاف، هذا المرض له عرضان، فإذا أردت أن تتعرف عليهما:

العرض الأول: عدم اللذة بالأجواء الروحية.

حينما لا تجد لذة في الدعاء ولا في قراءة القرآن، ولا في الصلاة، وتصلي بطريقة روتينية حركية فحسب، فهذا يعني أنك مصاب بمرض جفاف القلب وقسوته، وهذا مرض مخيف.

العرض الثاني: عدم المبالاة بالذنب.

كثير منّا يذنب ولا يبالي بذنبه، ويسوغ ارتكابه الذنوب بأن الناس جميعهم يرتكبون الذنوب، وعدم المبالاة بالذنب والندم عليه والحسرة بعد ارتكابه يكشف عن مرض قساوة القلب. فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «**من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن**»[1]، المؤمن هو الذي يستاء

(١) بحار الأنوار: ج٨، ص٣٥.

من السيئة، المؤمن الحقيقي هو الذي يتوجّع، يتألّم، يتحسّر إذا صدر عنه الذنب، صغيرًا أم كبيرًا، فعدم المبالاة بالذنب وأن الإيمان ضعيف، يعني أن مرض جفاف القلب مستحكم، «**ما لي كلّما قلتُ قد صلحتْ سريرتي وقرب من مجالس التوّابين مجلسي، عرضتْ لي بلية أزالتْ قدمي**»[1]، فهذه أعراض تكشف عن مرض جفاف القلب.

الزاوية الثانية: أسباب المرض.

ما الأسباب التي أدّت إلى أن يبتلى الإنسان بهذا المرض؟

السبب الأول: البُعد عن الأجواء الروحية.

طوال الوقت نحن مشغولون بالدراسة، ومشغولون بالعمل، وبالأهل والأطفال والسوق والعيال، فقط نصلي الصلاة الواجبة، فاليوم ٢٤ ساعة نرتبط بالله منها بنصف ساعة يومياً فحسب، ونكون بعيدين ٢٣ ساعة ونصف عن الأجواء الروحية، مثل القرآن، والدعاء، والنافلة، والمسجد، والمأتم، فالبُعد عن الأجواء الروحية سبب رئيسي في الابتلاء بمرض جفاف القلب وقساوته.

لأجل ذلك، أنت تقرأ في الدعاء: «**أم فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني**»، ومجالس العلماء تعني مجالس ذكر الله، «**أم رأيتني آلف مجالس البطّالين فبيني وبينهم خلّيتني**»[2]، مجالس البطّالين مجالس من ليس عندهم شغل، أمّا المترفون الذين كلّ مجالسهم تدور حول الأسهم

(١) بحار الأنوار: ج٩٥، ص٨٦.
(٢) إقبال الأعمال: ج١، ص ١٦٤.

والسوق والتجارة والأموال، أو الذين شغلهم هو مجالس غيبة المؤمنين والطعن بالآخرين وهدر الكرامات، فهذه المجالس والتصرفات تُبعدك عن الأجواء الروحية فيقسو القلب ويمرض.

في ذات يوم وقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على السوق في البصرة، ورأى الناس مشغولين بالسوق، وعند بيعهم يقسمون على كلامهم.. إلخ، فقال: «**أيها الناس، يا عبيد الدنيا وعمّال أهلها، إذا كنتم بالنهار تحلفون، وبالليل تنامون، وما بين ذلك أنتم غافلون، فمتى تهيّئون الزاد وتستعدون للمعاد؟!**»[1]، إذا أنا طوال وقتي مشغول بالدراسة وبالوظيفة وبالأهل وبالأطفال، فمتى أهيِّئ زادي لقبري؟!

السبب الثاني: ترادف الذنوب.

عندما يكون الذنب على الذنب من دون توبة، ومحطة محاسبة وعتاب، وهكذا تترادف الذنوب على القلب إلى أن يصبح القلب فحمة سوداء، لا نبض فيه، كما يقول القرآن الكريم: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[2]، وورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إنَّ العبد إذا أذنب خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت، وإن عاد عادت، حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبـدًا**»[3]، فإن ترادف الذنوب يوجب ظلمة القلب واسوداده.

(١) الأمالي للمفيد: ص١١٩.
(٢) سورة المطففين: الآية١٤.
(٣) الكافي: ج٢، ص٢٧١.

لأجل ذلك، ما لم تتب بالتوبة النصوحة ستنتهي بك النتيجة إلى مرض قساوة القلب وجفافه، ففي الدعاء يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «**إلهي أشكو إليك نفسًا بالسوء أمّارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، وإلى سخطك متعرّضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك**»، إلى أن قال: «**تسرع بي إلى الحوبة، وتسوّفني بالتوبة**»[1]، دائماً أؤخر التوبة، دائماً أقول: أنا مشغول اليوم، سأتوب غدًا! وهكذا تجتمع الذنوب إلى أن تؤدي إلى مرض جفاف القلب.

السبب الثالث: عدم المحافظة على الصلاة.

إن الصلاة لها أثر مهم في حياة الفرد المسلم، حتى لو كان يصلي صلاة سريعة روتينية، لكن محافظته عليها في وقتها له أثرٌ على قلبه، ففي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾[2]، فإذن الصلاة معين، وفي آية أخرى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾[3]، فالمحافظة على الصلاة في وقتها له أثر على قلبك حتى لو لم تلتفت، ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾[4]، فإذا لم تحافظ على الصلاة، ولم تبالِ بأوقاتها، ولم تبالِ بطريقتها وكيفيتها، فهذا طريقٌ يؤدّي بك إلى مرض جفاف القلب. ولذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا**

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ص٢٨٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ٤٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.
(٤) سورة هود: الآية ١١٤.

تنال شفاعتنا مستخفّاً بالصلاة»[1].

الزاوية الثالثة: طرق علاج المرض.

أجد نفسي معرضة عن هذا العالم الروحي، فما هو العلاج؟

الطريق الأول: محاسبة النفس.

فبطبيعة الإنسان أن يحاسب نفسه على أمور دنيا كمحاسبته نفسه على دراسته وتحصيله العلمي ونيله المراتب العليا، فليكن لك هذا الدور مع سلوكك، مع ذنوبك ومعاصيك.

فمبدأ محاسبة النفس هو العلاج والمنطلق لإصلاح القلب وتطهيره. فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا**»[2]، كل يوم عندك جدول، قبل النوم أقرأ هذا الجدول، ماذا فعلت اليوم منذ الصباح إلى الآن؟ كم عمل طاعة عملت وكم معصية ارتكبت؟ كم حاجة مؤمن قضيتها؟ فعن الإمام الكاظم عليه السلام: «**ليس منّا من لم يحاسب نفسه كل يوم، فإن عمل حسنة استزاد الله، وإن عمل سيئة استغفر الله وتاب إليه**»[3].

الطريق الثاني: ترقيق القلب بالأدعية.

ترقيق القلب من خلال الارتباط بأدعية الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وما عليك إلّا أن تخصّص وقتًا في كل يوم لقراءة أحد الأدعية، ولست

(١) وسائل الشيعة: ج٤، ص٢٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج١١، ص٣٨٠.

(٣) الكافي للكليني: ج٢، ص٤٥٣.

معذورًا في ذلك، وعندك ١٥ مناجاة للإمام زين العابدين عليه السلام، وتستمر في كل يوم بقراءة مناجاة واحدة، اقرأها بنهم وبإقبال وبعطش، حتى تسترفد مضامينها الروحية، وتستلهم عطاءها.

فمثلاً أول المناجات هي (مناجاة التائبين) التي تتعرّض إلى عملية تطهير القلب: «**إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلّتي، وجلّلني التباعد عنك لباسَ مسكنتي، وأمات قلبي عظيم جنايتي، فأحيني بتوبة منك يا أملي وبغيتي، ويا سؤلي ومنيتي، فوعزتك لا أرى لذنبي سواك غافرًا، ولا لكسري غيرك جابرًا**»، ثم تستمر في هذه المناجاة مع هذه المضامين العالية التي ترقق لك القلب.

والمناجاة تختلف عن الدعاء، فإن الدعاء يقرأ على كل حال، لكن المناجاة تعني الخلوة، ونحن بحاجة إلى الخلوة، أن تخلو بنفسك ليلًا، هذه هي المناجاة، حيث لا يراك أحد، ولا يسمعك، تحدث ربك عن الأخطاء والمعاصي، وتطلب الصفح والعفو بتذلل.

وعند المناجاة حاول أن تصل إلى درجة البكاء، فإذا وصلت إلى درجة البكاء حقّقت حقيقة المناجاة، والبكاء ليس عيبًا، إنما البكاء من الذنب علامة صحيّة تدل على أنّ القلب حي ومتفاعل، ويعيش الهدى.

(٨)

معاني القلب في القرآن الكريم

مجلة الوعي/ العدد ١٠٦ - ١٠٧

- السنة العاشرة -

شهر رمضان وشوال ١٤١٦هـ

- شباط وآذار ١٩٩٦م.

أولاً: القلب بمعنى الإدراك والفكر، وقد نطقت بهذا المعنى العديد من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ **لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ** ﴾[1].

فالله تعالى يصف حال الكافرين من الإنس والجن بأن لهم عقولاً لا يستخدمونها لفهم الأمور وإدراكها على حقيقتها، ولهم أبصاراً وكأنهم لا يبصرون بها، ولهم آذاناً وكأنهم لا يسمعون بها.

ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة المنافقين: ﴿ **فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ** ﴾[2]. أي لإيمانهم ثمّ كفرهم أصبحوا لا يميزون الأمور.

وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿ **وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ** ﴾[3].

وقال تعالى في سورة التوبة أيضاً: ﴿ **رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾[4].

وقال في سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ**

(١) الأعراف: الآية١٧٩.
(٢) المنافقون: الآية ٣.
(٣) التوبة: الآية ٨٧.
(٤) التوبة: الآية ٩٣.

أَقْفَالُهَا ﴾[1].

ثانياً: القلب بمعنى الفؤاد أي الوجدان:

وهو نفس الإحساس الغريزي بما يحصل منه إدراك شعوري والتقديس كل منهما شعور أي إحساس غريزي وبنفس الوقت يحصل منه إدراك وجداني، فالوجدان إحساس غريزي بما يحصل معه من إدراك شعوري، أي هو نفس الشعور بما يحصل معه من إدراك وجداني.

قال تعالى: ﴿ **فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾**[2].

وعلى ذلك فإطلاق كلمة القلب على النفس بمعناها الأول صحيح ولا شيء فيه على اعتبار أن كلاً منهما إحساس داخلي نابع مما فطر الله تعالى في الإنسان من غرائز، وقد ورد هذا الإطلاق في القرآن الكريم: ﴿ **قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾**[3].

فعبّر عن كلمة القلب بكلمة الصدر والتي هي من معاني النفس، وقد حصل ذلك أيضاً في الحديث إذ قال ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة، فمن تعارف منها ائتلف ومن تناكر منها اختلف**»[4]، فعبر الحديث عن كلمة القلب بكلمة الروح التي هي من معاني النفس ورغم صحة هذا

(١) محمد: الآية٢٤.

(٢) الحج: الآية٤٦.

(٣) آل عمران: الآية١١٨

(٤) الأمالي للصدوق: ص٢٠٩.

الخلط إلّا أنه ينبغي لفت النظر إلى أن كلمة القلب إحساس غريزي بما يصاحبه من إدراك شعوري فهو محلّ الحبّ والكره والخشوع والخوف والإكبار، لكن النفس ترتفع عن هذا لِتُربَط بالمفهوم فيتحدد بالتالي نوع الشعور الذي يدفع، ولذلك فمن الخطأ والخطر أن يترك القلب دون عقل سواء في أمور العقيدة أم الأحكام.

ولنستعرض الآيات القرآنية لبيان الإحساس الداخلي الذي تتحدث عنه الآيات والمربوط بالقلب:

١- الخشوع: قال تعالى في سورة الحديد: ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله** ﴾[١].

٢- الرأفة والرحمة: قال تعالى في سورة الحديد: ﴿ **وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً** ﴾[٢].

٣- الوجل: قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ **الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾[٣].

٤- الخوف والرعب: قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ** ﴾[٤].

٥- الإحساس بالتكبر والتعالي: قال تعالى في سورة غافر: ﴿ **كَذَلِكَ**

(١) الحديد: الآية١٦.
(٢) الحديد: الآية ٢٧.
(٣) الأنفال: الآية ٢.
(٤) آل عمران: الآية١٥١.

يَطْبَعُ الله عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[1].

٦- الشعور بالغيظ: قال تعالى في سورة التوبة: ﴿ **وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ الله عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾**.[2]

٧- السكينة والطمأنينة: قال تعالى في سورة الرعد: ﴿ **أَلا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾**[3].

وقال تعالى في سورة الفتح: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾**[4].

٨- الريب والشك: قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ **لِيَجْعَلَ الله ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾**[5].

٩- التحسر: قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ **لِيَجْعَلَ الله ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾**[6].

١٠- الحمية والترابط: قال تعالى في سورة الفتح: ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾**[7].

---

(١) غافر: الآية ٣٥.
(٢) التوبة: الآية ١٥.
(٣) الرعد: الآية ٢٨.
(٤) الفتح: الآية ٤.
(٥) آل عمران: الآية ١٥٦.
(٦) آل عمران: الآية ١٥٦.
(٧) الفتح: الآية ٢٦.

١١- الغل والحقد: قال تعالى في سورة الحشر: ﴿ **وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[١].

١٢- الإحساس بالمحبة والألفة: قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ** ﴾[٢].

١٣- النفور: قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ الله وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ** ﴾[٣].

١٤- الإحساس بالقسوة والغلظة: قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ﴾[٤].

وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾[٥].

ومن مهام القلب بمعنى الوجدان أنه موضع الإيمان والتقوى والهداية:

أ- موضع الإيمان والتصديق: وذلك أن يأخذ القلب (الوجدان) الفكرة ويشدها إليه ويضمّها ضماً كاملاً وأكيداً بارتياح مع موافقة العقل على ذلك أي الوجدان، ولكن شرط هذا التصديق الجازم موافقة

(١) الحشر: الآية ١٠.
(٢) آل عمران: الآية ١٠٣.
(٣) الزمر: الآية ٤٥.
(٤) البقرة: الآية ٧٤.
(٥) آل عمران: ١٠٩.

العقل، فإذا تمّ هذان الأمران: أي التصديق الجازم من قبل القلب أي الوجدان وموافقة العقل لهذا التصديق، فقد حصل الإيمان: يقول تعالى في سورة النحل: ﴿ **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** ﴾[1]، ويقول في سورة المجادلة: ﴿ **أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الْإِيمَانَ** ﴾[2]، ويقول في سورة الحجرات: ﴿ **وَلَكِنَّ الله حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾[3]، وقال في سورة الحجرات أيضاً: ﴿ **وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾[4].

وكما هي موضع الإيمان فهي موضع الريب والشك والرفض، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا** ﴾[5]. إذن القلب هو الذي يأخذ الأمر بالتصديق أو التصديق الجازم أو الشك، فتصديق الإنسان لأمر نتيجة وجود الإحساس المباشر للواقع ليس كمن نقل الأمر إليه نقلاً، ولذلك قال الصحابة لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله إن الله تعالى ليزيدنا إيماناً بك يوماً بعد يوم» ولذلك قال الله تعالى في حقّ المؤمنين: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا** ﴾[6].

(١) النحل: الآية ١٠٦.
(٢) المجادلة: الآية ٢٢.
(٣) الحجرات: الآية ٧.
(٤) الحجرات: الآية ١٤.
(٥) آل عمران: الآية ٨.
(٦) الفتح: الآية ٤.

ب- موضع التقوى: إذ التقوى هي الخوف من الله والقيام على شرعه، فهو إحساس يتبعه عمل، أي شعور بالخوف من الله وعذابه يتبعه اجتناب النواهي والقيام على الأوامـر، يقول تعالى في سورة الحج: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾[1]، ويقول تعالى في سورة الحجرات: ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى** ﴾[2].

فلا بدَّ لنا من أن تمتلئ قلوبنا بتقوى الله تعالى، إذ القلب مكان قبول الصلاح والهداية، قال تعالى في سورة التغابن: ﴿ **وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾[3]، فلندعُ الله تعالى بقوله في سورة آل عمران: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا** ﴾[4]، ونردّد ذكره ونسبحه بالليل والنهار وعقب الصلاة وعند القيام لتطمئن قلوبنا، ونكون من الثابتين، قال تعالى في سورة الرعد: ﴿ **أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾[5].

ولا بدَّ من أن ندرس أفكارنا دراسة تجعل فكرنا متصلاً بشعورنا حتى يكون الواحد منّا نـاراً محرقة للظلم والجـور والفسق والكفر والعصيان، ونوراً يهدي الناس لخير هداية وأعظم رسالة حتى نبقى مستمرين على دربنا لا ينطبق علينا قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿ **يَقُولُونَ**

(١) الحج: الآية٣٢.
(٢) الحجرات: الآية ٣.
(٣) التغابن: الآية ١١.
(٤) آل عمران: الآية٢٨.
(٥) الرعد: الآية ٢٨.

بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[1]، ولنعلم أنّ للقلوب أمراضاً، فكلّ إحساس داخلي نهى الله عنه هو من أمراضاً القلوب، فالحسد والطمع والعصبية والكره والضغينة وحب العظمة، والاستهانة بأحكام الله والتفريق في النفس على أساس المذهب والعائلة كلّ ذلك وغيره من أمراض القلوب، وقد حذّر الله تعالى منها ومن أصحابها فقال في سورة محمّد: **﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ ﴾**[2].

ولنعلم أنّ صلاح الإنسان بصلاح قلبه، وأنّ فساده بفساد قلبه، إذ القلب موضع الإيمان، واحتواء القلب للعقائد الفاسدة أساس في فساد كل حياة الإنسان، والقلب أيضاً موضع التقوى، فلو كان الشخص مسلماً من حيث العقيدة لكنه مريض في معاملاته وخلقه وعبادته لأنه ضعيف التقوى يكون فاسداً ولا شك، قال ﷺ: «**ألا إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[3]. وقال تعالى: **﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾**[4].

(١) الفتح: الآية ٤.
(٢) محمد: الآية ٢٠.
(٣) بحار الأنوار: ج٥٨، ص٢٥.
(٤) الحج: الآية ٤٦.

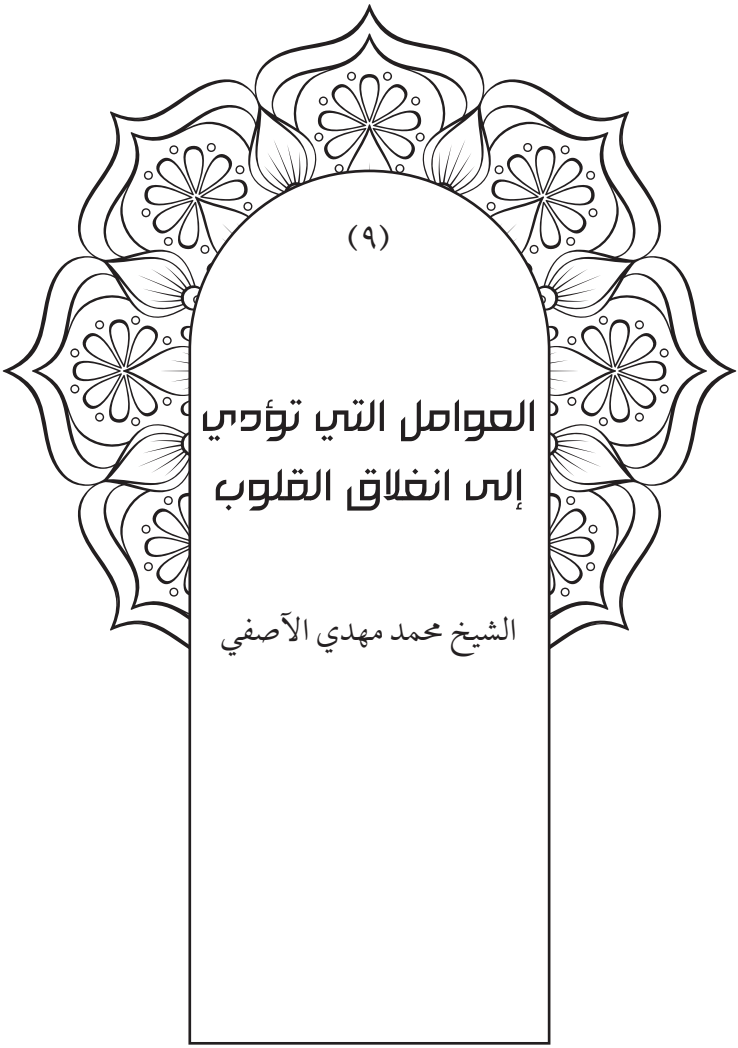

(٩)

العوامل التي تؤدي إلى انغلاق القلوب

الشيخ محمد مهدي الآصفي

العوامل التي تؤدي إلى انغلاق القلوب

النصوص الإسلامية تؤكّد على أن أهم عوامل انغلاق القلوب وانقطاعها عن الله اثنان:

١ ـ الاعراض عن آيات الله وتكذيبها.

٢ ـ ارتكاب الذنوب والمعاصي.

يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ**﴾(١).

والتكذيب بآيات الله، في هذه الآية الكريمة، سبب الصمم والاستقرار في الظلمات في حياة الناس.

ويقول تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا**﴾(٢).

ونلاحظ في هذه الآية الكريمة العلاقة المتبادلة بين الاعراض عن آيات الله والاستكبار عنها والوقر في الآذان.

وهذا هو العامل الأول (الاعراض).

وعن العامل الثاني (الذنوب) يقول تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى**

(١) سورة الانعام: ٣٩.

(٢) سورة لقمان: ٧.

﴿قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

والآية الكريمة واضحة في أن الذنوب التي يكسبها الانسان تتحول إلى رين وصدأ على القلوب، تغلق القلب وتقطعه عن الله.

بالذنوب تنتكس القلوب:

وإن الانسان يمارس الذنب حتى ينقطع قلبه عن الله، فإذا انقطع قلبه عن الله انتكس القلب، فكان اعلاه اسفله، واسفله اعلاه، وفقد كل خصائصه.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«كان أبي يقول: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئته، إن القلب ليواقع الخطيئة، فلا تزال به حتى تغلب عليه، فيصير اعلاه اسفله»[2].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أيضاً:

«إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت، وان زاد زادت، حتى تغلب على قلبه، فلا يفلح بعدها ابداً»[3].

بالذنوب فقد الانسان حلاوة الذكر:

ولذكر الله حلاوة في القلوب المؤمنة، ليس فوقها حلاوة، فإذا انتكس القلب فقد هذه الحلاوة، ولم يعد يتذوق حلاوة الذكر،

(١) سورة المطففين: الآية ١٤.
(٢) بحار الانوار: ج٧٣، ص ٤١٢.
(٣) بحار الانوار: ج٧٣، ص ٣٢٧.

كالمريض الذي تنتكس سلامته فيفقد شهية الطيبات، لا لأن الطيبات فقدت طيبها، ولكن لأن المريض فقد الشهية إليها، كذلك القلوب إذا انتكست فقدت حلاوة ذكر الله، ولم يعد لذكر الله تعالى لديها حلاوة وجاذبية.

في الحديث: «**إن الله أوحى الى داود أن ادنى ما أنا صانع بعبد غير عامل بعلمه من سبعين عقوبة باطنية أن انزع من قلبه حلاوة ذكري**»[1].

وجاء رجل الى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: «يا أمير المؤمنين، إني قد حرمت الصلاة بالليل.

فقال عليه السلام: **أنت رجل قد قيدتك ذنوبك**»[2].

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«**إن الرجل يذنب الذنب، فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيئ اسرع في صاحبه من السكين في اللحم**»[3].

الذنوب التي تحبس الدعاء:

اذن انقطاع القلب عن الله من المردودات المباشرة للذنوب، وإذا انقطع القلب عن الله فلا يأخذ ولا يعطي.

و(الدعاء) مما يرفعه الانسان الى الله تعالى، ولذلك قلنا: إنه (القرآن

(١) دار السّلام للشيخ النوري: ج٣، ص٢٠٠.
(٢) علل الشرائع: ج٢، ص٥١.
(٣) اصول الكافي: ج٢، ص٢٧٢.

الصاعد) الذي يرفعه العبد الى الله، بعدما يستقبل من عند الله (القرآن النازل)، فإذا انقطع الانسان عن القرآن النازل انقطع بالضرورة عن القرآن الصاعد، فيحبس عن الدعاء، ولا يتوفق له، وحتى إذا ألحت عليه الضرورات ودعا الله تعالى حبس الله تعالى دعاءه عن الصعود ولم يجد الاستجابة.

روي عن علي عليه السلام: «**المعصية تمنع الاجابة**»[1].

وسأل رجل عليّاً عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾: «**ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟** قال عليه السلام: **فأي دعاء يستجاب لكم، وقد سددتم أبوابه وطرقه، فاتقوا الله وأصلحوا اعمالكم، وأخلصوا سرائركم، واؤمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، فيستجيب الله دعاءكم**»[2].

وعن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «**والذنوب التي تردّ الدعاء، وتظلم الهواء عقوق الوالدين**»[3].

وفي رواية اخرى: «**والذنوب التي ترد الدعاء: سوء النية، وخبث السريرة، والنفاق، وترك التصديق بالاجابة، وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب اوقاتها، وترك التقرب إلى الله عز وجل بالبر**

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٧.
(٢) بحار الانوار: ج٩٣، ص٣٧٦.
(٣) معاني الاخبار: ٢٧٠.

والصدقة، واستعمال البذاء والفحش، في القول»[1].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام:

«إن العبد يسأل الله الحاجة، فيكون من شأنه قضاؤها الى اجل قريب، فيذنب العبد ذنباً، فيقول الله تبارك وتعالى للملك: لا تقض حاجته، واحرمه إياها، فإنه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني»[2].

[الدعاء عند اهل البيت عليهم السلام]

(١) معاني الاخبار: ص٢٧١.

(٢) اصول الكافي: ج٣، ص٣٧٣.

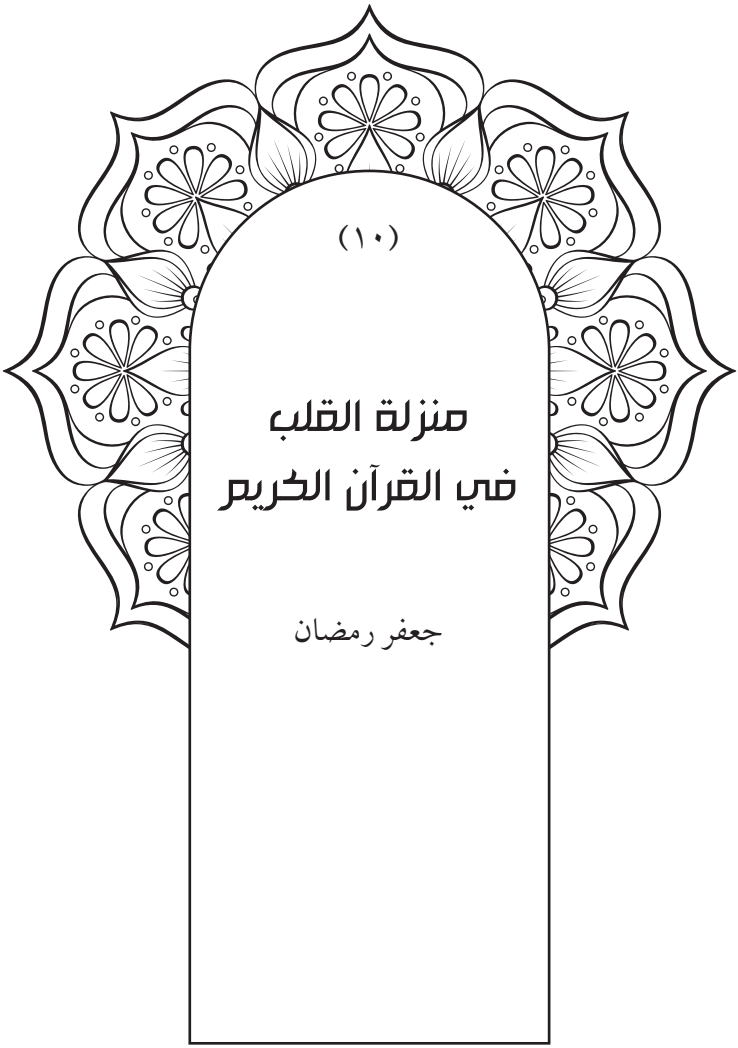

(١٠)

منزلة القلب في القرآن الكريم

جعفر رمضان

للقلب مكانة خاصة في القرآن الكريم، والمراد به هنا ذلك الجوهر المجرد الذي ترتبط به إنسانية الإنسان، فهو عبارة أخرى عن النفس الإنسانية، ولذا تنسب إليه الأعمال النفسية من قبيل التعقُّل والايمان والكفر والنفاق والهداية والرحمة والغفلة أو الانزعاج والخوف والرعب، وهو محل الشهادة أو إنكارها، ومحل الخير أو الإثم وغيرها من الحالات التي وردت في القرآن الكريم، وذلك يبين الله تعالى أنّ وظيفة القلب هي التعقل: ﴿ **فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا** ﴾[1].

ويرد القلب في القُرآن الكريم على معانٍ ثلاثة[2]:

أوّلها: العقل وذلك في قولة تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ** ﴾[3] أي قلب زكيٌّ حيٌّ ذكيٌّ، يتذكَّر إذا سمع كلام الله، وإلا فوجوده من عدمه سواء؛ لأنه معطل عن جانبه المعرفي والإرادي، قائم بدوْرِه الجسماني فقط، وهذا شائع في استِعمالات العرب في حال من لا يتَّعظ[4].

أمّا الثاني: الرأي والتدبير: ﴿ **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى** ﴾[5].

(١) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٢) صائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: تحقيق: محمد علي النجار- عبد العليم الطحاوي: ج٤، ص٢٨٩.

(٣) سورة ق: الآية ٣٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: تحقيق، عبد الله التركي: ج١٧، ص٢٣.

(٥) سورة الحشر: الآية ١٤.

ثالثاً: حقيقة القلب الذي هو في الصَّدر: ﴿ **وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾[1].

سلامة القلب ومرضه

إنّ كلّ أعمال الإنسان تنبع من قلبه ولذا هو مفتاح السعادة، ومن الضروري أن يعتنى به؛ لأنه قد يُصاب بالمرض، يقول الله تعالى: ﴿ **في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا** ﴾[2] والأمراض التي تُصيب القلب كثيرة كالكفر والنفاق، والتكبُّر، والحقد، والغضب، والخيانة، والعجب، والخوف، وسوء الظن، قول السوء، والتهمة، والغيبة، والظلم، والكذب، وحبِّ الجاه، والرياء، والقساوة، وغير ذلك من الصفات السيِّئة، قال الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ** ﴾[3]، وقد يكون القلب سليماً من هذه الأمراض بقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾[4].

كما أن الله عز وجل قد نسَب الإثم إلى القلب، فقال: ﴿ **وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ** ﴾[5]، وذلك يعد الإثم جامعاً لمطلق الذنب الذي يتدرَّج فيه القلب، من عموم المعاصي من صغائر وكبائر،

(١) سورة الحج: الآية ٤٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٠.
(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٥.
(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٥.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٣.

حتى يَهْوِيَ به إلى الشِّرك الأكبر، فيختم أو يطبع عليه.

وكذلك يعد زيغ القلب مرضاً من أمراض القلب التي بدأَتْ في طريق الانحدار، وهو بمعنى التمايل؛ يعني الميل عن الاستقامة، وقد ذُكِر زيغ القلب في ثمانية مواضع من كتاب الله تعالى، ارتبطت بالقلب في أربعة؛ منها على سبيل المثال لا الحصر: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا** ﴾[1] ولذا قال النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله لأم سلمة: «**يا أم سلمة، ما من آدمي إلا وقلبُه بين إصبعينِ من أصابع الله عز وجل، ما شاء أقام، وما شاء أزاغ**»[2].

ومن أمراض القلب الخطيرة هو غلُّ القلب وقد ورد هذا المرض في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[3] أي ورود الغلِّ بمعنى الغشِّ، والعداوة، والضغن، والحقد، والحسد، والدغل، والنفاق، والحقد الكامن، والخيانة والشر، هذه أمراضُ الصدور عندما تُمكَّن تتخلل القلب بلطف، حتى تتمكَّن منه وتُصبِح صفة يوصف بها القلب.

وعليه يمكن القول إن أمراض القلب ذات أثر خطير؛ لأنه إذا كانت أمراض البدن يقتصر ضررها على الدنيا فإنّ أمراض القلب يعمّ ضررها الدنيا والآخرة معاً، وتوقع الإنسان في الشقاء الأبدي: ﴿ **وَمَن**

(١) سورة آل عمران: الآية ٨.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ج ٨، ص ٥٦٧.

(٣) سورة الحشر: الآية ١٠.

﴿كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾[1].

القلب في الأحاديث:

ركّزت الأحاديث الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، على مسألة القلب، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إعْرَابُ القُلوب على أَرْبَعةِ أَنْوَاعٍ: رَفْعٌ وفَتْحٌ وخَفْضٌ ووَقْفٌ، فَرَفْعُ القَلْبِ في ذِكْر الله، وفَتْحُ القَلبِ في الرِّضا عَنِ الله، وخَفْضُ القَلْبِ في الاشتِغَالِ بِغَيرِ الله، ووقْفُ القَلْبِ في الغَفلَةِ عَن الله**»[2].

يبدو أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يبيّن لنا سلوك الاتزان البشري، أي إنَّ الدين القويم له أربع علامات في التشريع الإسلامي هي: (العقائد، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات)، فيتحدّد في ضوئها سلوك العباد على أربعة متطلبات لا ينبغي أن تقصر عن الإيفاء: عبادية كـ(الصلاة، والصوم..)، ونفسية كـ(الاتزان في الرضا والغضب..)، وأخلاقية كـ(تحرّي الصدق..)، ولذلك أراد الإمام الصادق عليه السلام أن يؤكّد في حديثه أنّ العبد إذا ذكر الله بالتعظيم خالصاً ارتفع كلّ حجاب كان بينه وبين الله، وإذا انقاد القلب لمورد قضاء الله بشرط الرضا عنه كيف ينفتح القلب بالسرور والروح والراحة، وإذا اشتغل قلبه بشيء من أسباب الدنيا كيف تجده بعد ذلك منخفضاً كبيت خراب خاوياً، وليس فيه العمارة ولا مؤنس، وإذا غفل عن ذكر الله كيف تراه بعد ذلك موقوفاً

(١) سورة الاسراء: الآية ٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٧، ص٥٥.

محجوباً قد قسا وأظلم منذ فارق نور التعظيم، فعلامة الرفع ثلاثة أشياء: وجود الموافقة، وفقد المخالفة، ودوام الشوق وعلامة الفتح ثلاثة أشياء: التوكّل والصدق واليقين، وعلامة الخفض ثلاثة أشياء العجب والرياء والحرص، وعلامة الوقف ثلاثة أشياء زوال حلاوة الطاعة، وعدم مرارة المعصية، والتباس العلم الحلال بالحرام[1].

وقد وردت الأحاديث الكثيرة عن أهل البيت عليهم السلام تؤكّد على سلامة القلب، فهو محرّك الأخلاق، وموجه التصرّفات، فإذا صلَح صلَحت كلّ الأعمال والأخلاق، وإذا فسد فسدت كلّ الأعمال والأخلاق، فعن الإمام الباقر عليه السلام قائلاً: «**القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعي على شيء من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشر فيه يعتلجان فما كان منه أقوى غلب عليه، وقلب مفتوح فيه مصباح يزهر ولا يطفأ نوره إلى يوم القيامة وهو قلب المؤمن**»[2]، وما يستفاد من هذا الحديث هو أنّ القلب ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: قلب الكافر: أي قلب انحرف عن فطرته فلا خير فيه، ولم يعد له من هدف إلّا الدنيا واعرض عن ربه فأصيب بالعمى وغشيته الظلمة.

ثانياً: قلب المؤمن: قلب قِبلتُهُ الله، أضاء فيه مصباح الايمان يرغب في العمل الصالح ومكارم الأخلاق، وعيناه مبصرتان بنور ايمانه.

(١) مصباح الشريعة للإمام جعفر الصادق: ص٣.
(٢) بحار الأنوار: ج٧، ص٥١.

ثالثاً: القلب المنكّت: وهو قلب فيه من نور الإيمان لكن فيه أيضاً من سواد المعصية، وخيره وشره في حال صراع فما غلب منهما سيطر على هذا القلب.

وذلك إذا أردنا أن نحافظ على سلامة قلوبنا ونتجنب الأمراض فلا بدّ من الطبيب الحاذق، أمّا أطباء القلوب فهم الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهم العارفون بحقيقة القلوب وما يصلح لها وطرق علاجها، ولذا كان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، عندما يُطلَب منه نصيحة، كانت إجاباته مختلفة؛ أي إنه كان ينصح كلّ شخص نصيحة مختلفة عن الآخر؛ وذلك لأنّ لكلّ واحدٍ منهم مرضه، والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، طبيب النفوس، فهو طبيبٌ دوّارٌ بطبه كما وصفه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام فيقول: «**طبيب دوَّارٌ بطبهِ، قد أحكمَ مراهِمَهُ، وأحمى مواسِمَه، يضعُ ذلكَ حيثُ الحاجة إليهِ مِن قلوبٍ عُميٍ، وآذانٍ صُمٍّ، وألسنةٍ بُكم.. متتبعَ بدوائهِ مواضعَ الغفلةِ، ومواطنَ الحيرة**»[1].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٧، ص١٨٣.

(١١)

القلب السليم

الشيخ حسين مناحي

القلب السليم

هنا قوانيننا تختلف عمّا في عالم الآخرة، فلو جئنا لمثالٍ بسيط في حياتنا هذه فنقول: لو أراد الإنسان أن يعمل في وظيفة ما في إحدى دوائر الدولة، فسيُطلب منه (السيرة الذاتية) التي تحتوي على الامتيازات والمؤهِّلات والدورات والشهادات الحاصل عليها، ومن أي جامعة تخرج، وكم عدد الدورات التي أعطاها، وسنوات الخبرة إن وجدت، وهكذا يراد منه، وهو يطلب الوظيفة لكي يؤمّن قوت يومه، ويدّخر منه لمستقبله المادي عند التقاعد، ومستقبل أطفاله، ويعيش الحياة المستقرة نوعاً ما، ولها أبعاد أخرى، وآثار على الفرد نفسه، ويكبر في عين الناس والمجتمع الذي يعيش فيه.

ولكن في ذلك العالم الأمر يختلف تماماً فحينما يريد أن يدخل في رغد العيش، والحور العين، والولدان المخلدين، والأشجار والأنهار والقصور، وكلّ شيء له مؤمّن، نعمة دائمة لا تزول، وظل ممدود، فسيُطلَب منه (قلب سليم) يدخل إلى ما يريد بهذا الشرط إلّا لمن أتى الله سبحانه وتعالى وهو يحمل (قلباً سليماً)، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾[1]، خالياً من كلّ حقدٍ وغلٍّ

(١) سورة الشعراء: آية ٨٨،٨٩.

وضغينةٍ وتكبرٍ.

و(القلب السليم) هو مصداق قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ** ﴾[1]، فإنّ طريق التقوى موصل إلى سلامة القلب، وسلامة القلب موصلة لرضا الـربِّ، ورضـاه عنك يعني دخولك الجنان، وحصولك على ما لذّ وطاب، وما لم تره العينان، ولم تسمع به الأذنان.

قال تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ الله الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[2].

فهذه الآية صريحة في طلب الآخرة وهي بغية كلِّ إنسان مؤمن، لكن، ليس بهجر الأولى؛ لأنّه فيها نصيب فلا تنسَ نصيبك، فلا يتكاسل الفرد عن مهمات هذه الدنيا، وطلب الترقي، والطموح للأفضل، هذه الأمور مشـروعة عقلاً وشرعاً، ولكن لا يكون التقدّم الدنيوي هنا حاجزاً عن الكمالات المعنوية، وصاداً عن ترقية القلب وتصفيته.

وقدوتنا وأسوتنا في ذلك النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله فقد حكم المسلمين وكان أولى بهم من أنفسهم، وقاد معارك ضد المشركين واليهود، وكما هو ديدن الأنبياء السابقين عليهم السلام، والأولياء والصالحين الذين تسنّموا مناصب عالية في قيادة الناس والمجتمع، وكلّ ذلك كان بمراقبة شديدة للنفس والتصـرّفات، ويهتمّون بدقائق الأمور لئلّا يصدر منهم شيء

(١) سورة الحجرات: آية١٣.

(٢) سورة القصص: آية٧٧.

يُوجب نزولهم من القرب الإلهي، محافظين على القلب سليماً.

اهتمَّ بقلبك الصنوبري والمعنوي

هنالك اختلاف بالمراد من القلب المذكور في القرآن والروايات، هل هو ذلك القلب الصنوبري الذي يضخ الدم، والمسمى ببعض الروايات بالفؤاد، أو هو القلب المعنوي الذي يحمل الحب والبغض، والحكمة والحرص؟

ومن خلال ما نبيّنه لكم في هذه المقالة سيتّضح لكم ما المقصود بالقلب في القرآن والروايات، وبين القلب العضوي الصنوبري:

أما القلب الصنوبري: الذي إن صلح صلح سائر الجسد، وهو يعدُّ المحرِّك الرئيس لبقية أعضاء جسم الإنسان، وينقسم القلب إلى أربع حجرات: علويتين هما الأذينان الأيمن والأيسر، وسفليتين هما البطينان الأيمن والأيسر، وفي القلب الصحيّ يتدفق الدم باتجاه واحد عبر القلب بفضل وجود صمامات القلب، التي تمنع تدفقه بالاتجاه المعاكس، يُحاط القلب بكيس مجوف للحماية، يحتوي جوف هذا الكيس على كمية قليلة من السائل، تتكّون جدران القلب من ثلاث طبقات: النِّخاب، وعضلة القلب، والشِّغاف.

يضخّ القلب الدم بإيقاع نظمي تحدده مجموعة خلايا ناظمة للخطا في العقدة الجيبية الأذينية، وتنتج هذه الخلايا تياراً يسبب تقلّص القلب، وينتقل هذا التقلّص إلى العقدة الأذينية البطينية، ومن ثم ينتقل عبر

الجهاز الموصل للقلب.

فلا تدخل عليه ما يفسده مثل: الكحول المسكرة، والدهون الضارة، والنيكوتين القاتل، واترك كل ما حرّم الله؛ لأنه تعالى أعلم بالمصالح والمفاسد، وقد اثبتت الدراسات الحاضرة أن أغلب الأمراض سببها الدم، والذي يحرك الدم ويمر من خلاله إلى سائر الجسم هو القلب، فعليك الاعتناء بقلبك، افرحه بأوكسجين نقي، وماء صافٍ، ورياضة مستمرة، وحجامة أو تبرع بالدم بين حين وآخر، وهكذا ستنعم براحة وصحة.

وأما القلب المعنوي: فيصفه الإمام علي عليه السلام بوصف في غاية الجمال والروعة يقول: «**لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الإِنْسَانِ بَضْعَةٌ، هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وهُوَ الْقَلْبُ، وذَلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَةِ وأَضْدَاداً مِنْ خِلَافِهَا، فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ، وإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ، وإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ، وإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَا نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وإِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ، وإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ، وإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ، وإِنْ أَفَادَ مَالًا أَطْغَاهُ الْغِنَى، وإِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ، وإِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ**»[1].

(١) شرح نهج البلاغة للبحراني: ج٥، ص ٢٩٥.

والقلب المعنوي على قسمين:

الأول: القلب السليم:

فحينما يكون القلبُ سليماً سيكون رحمة للعالمين: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[1].

وحينما يكون القلب سليماً (غير بخيل) سيكون المال مثل مال خديجة عليها السلام يرفع به راية الإسلام، ويبعث الله لها السلام، وحينما يكون القلب سليماً (محباً للخير) سيكون مثل أبي طالب عليه السلام له أولاد أبطال مثل: علي الكرار وجعفر الطيار عليهما السلام، ينفعان في محاربة الكفار.

ومَن كان قلبه سليماً سيمشي على درب الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين: ﴿ **وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً** ﴾[2].

ولم يَرِد في القرآن الكريم ذكر القلب بما يراد به المضغة الصنوبرية التي تَضخُّ الدم، بل يكون ذكره بما يُراد به الأمر الثاني، وهو العقل والتعقُّل والفعل والانفعال.

ومَن كان قلبه سليماً سيرافق الأبرار والمتدينين: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾[3].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لَا يَصْدُرُ عَنِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ إِلَّا الْمَعْنَى**

(١) الأنبياء: الآية١٠٧.
(٢) الحديد: الآية ٢٧.
(٣) الأنفال: الآية٢.

الْمُسْتَقِيمُ»[1]، وقال عليه السلام: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ سُبْحَانَهُ عَبْداً رَزَقَهُ قَلْباً سَلِيماً وَخُلُقاً قَوِيماً**»[2].

ومَن كان قلبه سليماً سيدخل فيه العلم والفهم والاطمئنان: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[3]، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَفْضَلُ الْقُلُوبِ قَلْبٌ حُشِيَ بِالْفَهْمِ**»[4]، وقال عليه السلام: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا لِلْخَيْرِ**»[5].

مَن كان قلبه سليماً سيكون من الدعاة إلى طاعة الله تعالى ورسوله والقادة إلى سبيل الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ**﴾[6]، ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**﴾[7].

مَن كان يحمل قلباً سليما حتماً سينجو ولو في آخر اللحظات فتراه يخير نفسه ما بين الجنة والنار ولا يختار على الجنة شيئاً: ﴿**أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**﴾[8]. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

(١) غرر الحكم: ص٧٩٠.
(٢) غرر الحكم: ص٢٨٩.
(٣) الرعد: الآية٢٨.
(٤) غرر الحكم: ص١٩٨.
(٥) الأمالي للمفيد: ٢٧٩.
(٦) سورة الفتح: الآية٤.
(٧) سورة الأنفال: الآية٦٣.
(٨) سورة المجادلة: الآية٢٢.

«قُلُوبُ الْعِبَادِ الطَّاهِرَةُ مَوَاضِعُ نَظَرِ اللهَ سُبْحَانَهُ فَمَنْ طَهَّرَ قَلْبَهُ نَظَرَ إِلَيْهِ»[1].

فلو سألنا أمير المؤمنين عليه السلام: كيف نحافظ على قلوبنا ونبقى على ارتباط بالله تعالى؟ كان يجيب بهذا القول له عليه السلام: بـ«أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وذلّلهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا»[2]، و«طُوبَى لِمَنْ خَلاَ مِنَ الْغِلِّ صَدْرُهُ وَسَلِمَ مِنَ الْغِشِّ قَلْبُهُ»[3]، «طَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ مِنْ دَرَنِ السَّيِّئَاتِ تُضَاعَفْ لَكُمُ الْحَسَنَاتُ»[4].

الثاني: القلب المريض:

مَن كان يحمل قلباً مريضاً فسوف يزداد مرضه: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا ﴾[5]، فهو مثل أبي لهب: ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾[6]، ولم يكن عنده أولاد:﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾[7]، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾[8]، و﴿ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٥٠١.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٧.
(٣) عيون الحكم و المواعظ: ج١ص٣١٤.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٤٠.
(٥) سورة البقرة: الآية١٠.
(٦) سورة المسد: الآية٢.
(٧) سورة المسد: الآية٤.
(٨) سورة المائدة: الآية٤١.

قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾[1].

صاحب القلب المريض: ﴿ **لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾**[2].

وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**انْتِبَاهُ الْعُيُونِ لَا يَنْفَعُ مَعَ غَفْلَةِ الْقُلُوبِ**»[3].

صاحب القلب المريض أعمى: ﴿ **وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾**[4].

صاحب القلب المريض لا يعقل: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾**[5].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**خُلُوُّ الْقَلْبِ مِنَ التَّقْوَى يَمْلَؤُهُ مِنْ فِتَنِ الدُّنْيَا**»[6].

فهذه التعبيرات (يفقهون بها)، (يعقلون بها)، (تعمى القلوب) لا تناسب القلب بمعناه الصنوبري الذي هو آلةٌ صمّاء لا تَعْقِل ولا تفقه ولا تَعْمى، بل يناسب المعنى الآخر للقلب وهو تلك اللطيفة الروحانية التي لا يعلم حقيقة خلقها إلّا الله، المُدركِة للخير والشر والمُنْفَعِلةُ به.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٣.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٠١.
(٤) سورة الحج: الآية٤٦.
(٥) سورة الحج: الآية٤٦.
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٦٣.

وصاحب القلب المريض يصرُّ على الذنب والخطيئة ويتجبر ويطغى فعندئذٍ يختم الله عليه: ﴿ **خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ** ﴾[1]، ويوم القيامة: ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾[2]، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ**»[3]. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا من كل غل وحسد، ويصفيها على محبة محمد وآل محمد.

الشيخ حسين مناحي

(١) سورة البقرة: الآية٧.

(٢) سورة عبس: الآية ٣٤-٣٧.

(٣) غرر الحكم: ص٦٠٨.

المحتويات

حضور القلب	٥
انتساب الادراك والتعقّل إلى القلب	١٦
معنى القلب	٢٠
الختم على القلوب	٢٥
صلاح القلب وفساده	٢٩
ما هو القلب؟	٣٤
مرض جفاف القلب	٣٨
معاني القلب في القرآن الكريم	٤٥
العوامل التي تؤدي إلى انغلاق القلوب	٥٤
منزلة القلب في القرآن الكريم	٦٠
القلب السليم	٦٧
المحتويات	٧٧